دراسة في السلوك الحشدي

الدكتورة فوزية العطية

يشهد العالم بصورة مستمرة انواعا مختلفة من الحشود[1] فقد حدثت مذابح جمعية عديدة في مراحل تاريخية مختلفة وفي اجزاء متعددة من العالم ، كما احرقت عواصم وانتشرت حالات رعب او فزع جمعى نتيجة لانتشار الاوبئة او حدوث الكوارث .

وقد شهد المجتمع العراقي انواعا مختلفة من هذه الحشود . فقد روع هولاكو سكان مدينة بغداد ، وارتكب اعمالا احدثت العنف والرعب . كما ظهرت الحشود الحماسية الثائرة في ثورة العشرين ووثبة كانون عام ١٩٤٨ وانتفاضات ١٩٥٢و١٩٥٦ وعم العراق الحماس والعنف في ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ وثورة ٨ شباط عام ٩٦٣ وتحشدت الجماهير في الموصل وفي كركوك عام ١٩٥٩ وسيطر عليها نوع من العنف الجمعي دفعها الى القتل والتعذيب والتخريب . كما ظهرت حالات الرعب على اثر توزيع البذور المعفرة عام ١٩٧٢ وعلى اثر حوادث «ابو الطير» عام ١٩٧٤ .

وسنحاول من خلال هذه الدراسة التوصل الى الاسباب التي تؤدى الى ظهور هذه الحشود . ما هي طبيعة العوامل التي ادت الى هيجان الطلبة وعنفهم في الستينات في مختلف الجامعات وفي اجزاء مختلفة من العالم ؟ كيف نفسر اشتراك افراد او فئات متنوعة فيها ؟ ما هي العوامل التي تمكن هذه الحشود من ضم نماذج مختلفة من الافراد اليها ؟ كيف امتدت ثورة الطلبة من باريس الى كاليفورنيا ثم الى طوكيو وبيروت وغيرها من الجامعات ؟

للتوصل الى تحديد العوامل التي تؤدى الى هذا السلوك الحشدى وتؤثر فيه لابد من استعراض اهم الاراء التي اهتمت بالظواهر الجمعية منذ نهاية القرن

التاسع عشر وحتى اليوم • هذه الاراء وان اتصف البعض منها بعدم الموضوعية وبالتأثر بالاحكام المسبقة Préjugés ' الا انها ادت بشكل او بآخر الى تطوير رأى علمي في دراسة الحشود اصبح في وقتنا الحاضر مهما في دراسات علم النفس الاجتماعي • فدراسات كوستاف لوبون منذ عام ١٩٨٢ وآرائه التي جمعها في مؤلفه المشهور (نفسية الحشود) الذى نشره في الفرنسية للمرة الاولى عام ١٨٩٥ ساعدت على تطوير هذا الموضوع ودفعت عدد كبير من الباحثين الى الاهتمام بدراسة الحشود ونفسيتها • ففي عام ١٩٢٠ قدم دومارتن في مؤلفه الموسوم « سلوك الحشود » ، وصفا لسلوك الحشد محاولا فيه تطوير آراء لوبون وفي عام ١٩٢٤ اضاف اولبورت تحليلا لسلوك الحشد في مؤلفه « علم النفس الاجتماعي » وقد ادت هذه الدراسات الى الاهتمام بالحشود ودراستها دراسة ميدانية فيما بعد جاءت بتفسيرات اخرى تتسم بالعلمية ، كالدراسات التي قام بها ميلر ودولارد والتي نشراها عام ١٩٤١ في المؤلف الموسوم «التعلم الاجتماعي والتقليد » وقد اثرت هذه الاراء بعضها في البعض الاخر مما جعلها تبدو وكأنها متداخلة احيانا • الا انها مع ذلك يمكن ان تصنف الى اتجاهات ثلاث :

١ ـ الاتجاه الاول ، الذى يمثله كوستاف لوبون والى حد ما دين‌مارتن ، ويؤد على دور الحشد •

٢ ـ الاتجاه الثاني ، الذى يمثله اولبورت ، ويؤكد على دور الفرد •

٣ ـ الاتجاه الثالث ، الذى يؤكد على العوامل الخارجية التي تعود الى طبيعة المجتمع وطبيعة اعضاء الحشد ، ويمثله ميلر ودولارد •

الاتجاه الاول :ـ المؤكدون على دور الحشد •

يتركز موقف المؤيدين لهذا الرأى في التأكيد على دور الحشد الذى يلعب في نظرهم الدور الرئيسي والاساسى في توجيه سلوك الفرد في الحشد ، دون التمييز بين انواع الحشود •

وقد برز هذا الاتجاه في اواخر القرن التاسع ممثلا في كابريل تارد وانريكو فيرى وكوستاف لوبون فقد درس انريكو فيرى الحشد او الجمهور

وسلوكه في مؤلفات عدة منها «روح السياسة» و «روح الاشتراكية» و « روح الثورات » و «الثورة الفرنسية» مبينا ان الجماعة تهبط بمستوى اخلاق اعضائها وتحط من ذكائهم وتجعلهم مندفعين وراء عواطفهم واهوائهم • فالفرد ، كما يعتقد فيرى ، مهما سمت اخلاقه ومهما ارتفعت ثقافته ومستوى ذكائه ، ينصف بسذاجة التفكير والاندفاع العاطفي بمجرد انضمامه لحشد ما ، وذلك كنتيجة لما سماه «بقانون الوحدة العقلية» • اذ يتوحد تفكير الافراد نتيجة دخولهم الحشد •

اما كابريل تارد ، الذى عرف بنظريته في الايحاء والتقليد ، فقد بين ان كل انواع الحشود متشابهة في اساسها نتيجة لخضوع الافراد فيها لقانون الايحاء والتقليد ، حيث يقلد الافراد بعضهم البعض الاخر بسبب انضمامهم للحشد وخضوعهم للايحاء • اذ يصبح اعضاء الحشد اشبه بالمنومين مغناطيسيا يستجيبون لكل ما يوحي اليهم كما بين ان الاراء والعواطف في الحشد يتصل بعضها بالبعض الاخر • لذا فهي تتوحد نتيجة للعدوى الفكرية ، وهذا يكسبها قوة • فكل عاطفة وكل عمل يصبح معدى وهكذا فسر انتشار المعتقدات بشكل يخالف تفسير دركايم الذى يعتقد بكون الظواهر الاجتماعية تفرض نفسها على الافراد • اى ان تارد اعتمد على قانون التقليد الذي هو ليس الا عدوى تنتقل من فرد لآخر وتؤدى الى توحيد السلوك بكافة انواعه من حماس او عنف او رعب • وهذا ينطبق ايضا على التطور الاجتماعي الذى يظهر نظرا لتقليد الناس بعضهم للبعض الاخر(٢) ويعتبر ابرز من مثل هذا الاتجاه هو المفكر الفرنسي كوستاف لوبون الذى حاول في مؤلفه Psychologle des foules « نفسية الحشود » الذى اصدره عام ١٨٩٥ ، ان يصوغ نظرية حول هذا الموضوع وجاء بتحليلات تفصيلية للخصائص النفسية للمجموع(٣) محاولا ان يبين قوتها ومقدرتها في التأثير على الأفراد المكونين لها • وقد وصف الطبيعة الانفعالية لرجل الحشد مبينا سيطرة الناحية اللاشعورية على سلوكه • ونظرا لاهمية الاراء التي جاء بها لوبون ، ساحاول فيما يلى عرضها بصورة موجزة ثم انتقل بعد ذلك الى عرض اراء دين مارتن •

نظرية كوسنف لوبون :

يعتقد لوبون ان مجرد اندماج الفرد او انضمامه لحشد ما يعطل تفكيره عن العمل ويصبح «كالالة المتحركة» تحمله ريح الحشد كما تشاء والحشد ، كما يعتقد لوبون، يختلف بخصائصه عن خصائص اعضائه اى يعتبر « فوق الفردى » Supraindividuelle ويتشابه اعضاء الحشد في نظره بالخصائص الوراثة العامة المشتركة للعنصر الواحد التي تنتقل من جيل لاخر فتؤدى الى خلق ما اسماه « بالروح الجمعيـــة » plâme collective فالحشـــد كمـــا يراه لوبون ليس مجرد جمع من الناس وانما يفترض فيه حالة عقلية خاصـــة اسماها بالروح الجمعية وتتألف الروح الجمعية هذه من الرغبات اللاشعوريـــة المشتركة بين جميع افراد العنصر الواحد • الا انها تختلف عن روح او عقليـة الافراد المكونين للحشد حينما يكونون منفردين • فمقدرات الفرد وميزاتـــه الشخصية تتعطل موقتا لتحل محلها تلك العوامل الدفينة اللاشعورية مما يؤدى الى تعطيل الناحية العقلية للافراد والى عدم مقدرتهم على اداء اعمال تتطلب درجة عالية من الذكاء(٤) • وقد حلل لوبون هذه الخصائص النفسية للمجموع وحددها في تسع ، الا اننا سنجمعها في ثلاث نقاط اساسية للايجاز هي(٥) :

١ ـ الاجماع : يعتقد لوبون ان الافكار والعواطف والبراهين والاهـداف تتوحد كلها في الحشد استنادا الى قانون الوحدة العقلية له • وهذا مما يؤدي الى ظهور العقائد والتعصب لها والى عدم افساح المجال للمناقشة او المعارضة • ويندفع الحشد لتحقيق اغراضه ، حيث يشعر بمقدرة وقوة فائقة تدفعه الى عدم الشعور بالمسؤولية ازاء الاعمال التي يرتكبها مهما كانت بشاعتها • وهذا ما يجعله مندفعا متطرفا صارما في تفكيره فيغفل السمات المميزة للاحداث ويصدر بصددها احكاما حدية قاطعة ، فيرى الاشياء اما بيضاء او سوداء لا لون اخر لها •

٢ ـ الاثارة والهيجان : يقع الافراد في الحشـــد تحت التأثير السريـــع والمفاجىء فيتطرف الحشد في سرعة التصديق مما يمهد السبيل الى خلق الاساطير وبث الاشاعات ونشرها بسهولة فائقة • الا ان هذا الاندفاع في العواطف يتصف

بعدم الثبوت والاستقرار ، لان تلك العواطف تخضع للتغير السريع والمفاجيء وهذا مما يجعل الحشد خاضعا بشكل اعمى للقوة او لمسيطر مستبد ومما يزيد من استسلامه للدوافع البدائية خضوعه للايحاء وانتشار عدوى التمثل مع الاخرين • فالفرد في الحشد يسلك كالمنوم مغناطيسيا يستجيب لكل ما يوحى به اليه •

٣ ـ السذاجة : يتصف تفكير الحشد بالسذاجة • فأفراد الحشد لا يتمكنون من تأدية الاعمال التي تتطلب درجة عالية من الذكاء ، وذلك يعود الى عدم اعتمادهم على المنطق والموضوعية في التحليل ومن هنا يصبح الحشد بدائيا في سلوكه وقد ينهمك في اعمال السلب والنهب والقتل والسحل والتدمير بسبب انعدام الحس الخلقي بسبب القمع المستمر للدوافع الانانية وقد يتغير بصورة فجائية فيبالغ في النواحي الخلقية في امور معينة عن طريق التضحية والولاء الشديد فيصبح متعاونا رحيما • أما العوامل التي تساعد على ظهور هذه الخصائص في نظر لوبون ، فيمكن اجمالها بما يلي[٦] •

١ ـ عامل التقليد والعدوى الفكرية : تتفاعل العواطف والاراء في الحشد بعضها مع البعض الاخر مما يؤدى الى تقليد اعضاء الحشد بعضهم للبعض الاخر دون ادراك او تفكير فالتفاعل والانتقال يتم بصورة تلقائية مما يؤدى الى وحدة ذلك الادراك والتفكير والى ظهور قانون «الاجماع» • فقد اراد لوبون من وراء ذلك ان يثبت عكس ما جاء به دركايم من ان الظواهر الاجتماعية لا تفسر بكونها تضغط على الافراد وتقسرهم على سلوك معين وانما تنتقل وتتوحد نتيجة لعامل التقليد التلقائي وهكذا تنتشر الاراء والمعتقدات وكل ضروب السلوك الجمعي من حماس ورعب • وقد تأثر لوبون في هذا الخصوص بتارد ونظريته «العدوى العقلية» التي وضعها عام ١٨٩٣ •

٢ ـ الايحاء الذهني والاغراء : تسيطر فكرة الجماعة على الفرد في الحشد ، في رأي لوبون بحيث تجعله اشبه بالمنوم مغناطيسيا مما يؤدى الى تعطيل تفكيره والى خضوع سلوكه للعقل الجمعي فيصبح اعضاء الحشد اشبه بالالات المطيعة

او القطع المقاد بالعواطف وهنا تظهر حاجة الحشد الى زعيم ، فالحشد اشبه بقطيع بحاجة الى راع • ويعتقد لوبون ان الزعيم فيالحشد متعطل هو الاخر عن التفكير نظرا لتشبعه مسبقا بفكرة الحشد(٧) ولا يشترط في الزعيم ان يكون ذكيا وذو مقدرة عقلية عالية تمكنه من قيادة الحشد ، وانما يكفى لذلك حماسه واندفاعه وسمعته واعتباره الاجتماعي Préstige ذلك الاعتبار المكتسب نتيجة الثروة او القوة الخارقة ، كما هو الحال بالنسبة لنابليون وجان دارك وقد يكون هؤلاء الزعماء من المستبدين من انصاف المعتوهين •

٣ ـ الشعور بالقوة : ان كثرة الاعضاء في الحشد تساعد على ظهور شعور بالقوة يدفع الى عدم التفكير بالعقاب وعدم الشعور بالمسؤولية • وهذا يؤدي الى انحطاط اخلاق الحشد ويدفعه احيانا الى ارتكاب ابشع الجرائم واقبحها ، من تخريب وقتل وتمثيل • ولقد وسع لوبون فكرته عن عقلية الحشد بحيث شملت الافراد بغض النظر عن سنهم وجنسهم حتى وان لم يوجدوا وجها لوجه داخل الجماعة(٨) فالايحاء كما يعتقد يسرى بينهم وعدوى التماثل تكتسحهم بحيث تظهر لديهم نفس خواص الجماعات التي يتقابل افرادها وجها لوجه • وقد اهمل الاختلافات بين الجماعات الثائرة والتظاهرات وحالات الرعب وغير ذلك من الانواع الاخرى وجعل منها جميعا جماهيرا ثورية اعتدائية مخربة• وهذا ما اوقعه في خطأ وعرضه لانتقادات واسعة • ولقد جارى لوبون الاتجاه السائد في زمانه فطابق بين الرغبات اللاشعورية لاعضاء الحشد وبين ترائهم الحضارى المشترك ، مما دفعه الى التفرقة بين الشعوب على اساس عقلها الجمعى• فبين ان هناك شعوبا يتسم عقلها الجمعى بالسمو واخرى بالانحطاط • وقد خدمت هذه الاراء الحكم الفردى الدكتاتورى وذلك لتشككها بحكم الجمهور انطلاقا من ملاحظات معينة عممت على كل انواع الجماهير دون دراسة علمية ، وبترجيحها آراء الفرد على اراء الجماعة • كما خدمت التميز العنصرى لتميزها بين الاجناس والشعوب على اساس وجود فوارق بينها في عقلها الجمعى • وفات

لوبون ان النقاشات والمداولات الجماعية تؤدى في الاعم الاغلب الى بلوره راى يتسم بالاصالة • ويلاحظ ان لوبون كان متأثرا في وصفه للحشد ببحوث التنويم المغناطيسي وما اشاعته في حينه من مفاهيم الايحاء واللاشعور والسلوك الغريزى والاندفاعي والتقهقر في مستويات السلوك •

نظرية مارتن في سلوك الحشد :

ومن المفكرين الذين يمكن ادراجهم تحت هذا الاتجاه المفكر دين مارتن الذى اعتمد على آراء لوبون وفرويد في آن واحد فهو يرى ان اى تجمع من الناس قد يتحول الى حشد اذا ركز اعضاؤه انتباههم على امر معين بصورة موحدة• ويتفق مارتن مع لوجون في ان الحشد هو موقف يؤدى الى انطلاق الرغبات اللاشعورية لدى اعضائه وذلك لاختفاء الجانب الشعورى لدى هؤلاء الاعضاء(٩) الا انه يختلف معه حول ظهور العقل الجمعي • ويستفيد مارتن مما وصلت اليه سيكولوجية فرويد من تقدم فيما يتعلق بدوافع السلوك الحشدى ، مستخلصا منها الصفة المميزة لهذا الحشد • وبناء على ذلك فان مارتن يعتبر الحشد عبارة عن حالة ذهنية معينة قد تؤثر في الجماعة بسبب توقف الافكار الضابطة المشتركة عن اداء وظيفتها في البيئة الاجتماعية المباشرة مما يؤدى الى تحرر وانطلاق البواعث المكبوتة • ومن امثلة هذه الافكار الضابطة المشتركة في المجتمع الاعتقاد بحرمة الحياة البشرية وخطأ تدمير ممتلكات الاخرين وكون الاعتداء الشخصي عن طريق الضرب والتعذيب لا يصدر الا عن شخص سافل او وضيع وغير ذلك من افكار ومعتقدات ضابطة للسلوك(١٠) ويرى مارتن ان الحشد يمثل تعديلا البيئة الاجتماعية بسبب التأثير المتبادل بين الافراد(١١) ويقول مارتن(١٢) بهذا الرقيب او الذات العليا فتهيمن على السلوك وتلعب دورها بصورة لا شعورية وتفوز بالاستحسان الخلقى للحشد ، ويتم ذلك عن طريق قائد الحشد الذى يوجه عواطف الاعضاء للاهتمام بمعايير خلقية عامة ومجردة • وينتج تعديل البيئة الاجتماعية بسبب التاثير المتبادل بين الافراد(١٢) ويقول مارتن(١٣) بهذا الصدد ان صراعا اساسيا ينشب بين السلوك الاعتيادى المقبول اجتماعيا وبين

رغبات الفرد البدائية اللاانسانية في لحظة انظمامه الى الحشد • يؤدى هـــذا الصراع الى ذهن حينما يسلك الفرد طريقا منعزلا لحـــل الموقف • ويضفى موقف الحشد تعديلا لا شعوريا على دلالة المعايير الاجتماعية داخل الحشـــد ، وتسبغ على السلوك المستهجن في الاحوال الاعتيادية ، طابع الاستحسان وعـــلى ذلك فطبيعة سلوك الحشد في جوهره اشبه بسلوك المصاب بالذهان ومـــع ذلك فرجل الحشد يرضى انانيته باسلوب المصاب بجنون العظمة عن طريق استبدال مدحه لذاته بعبادة الحشد الذى يضمه • الا ان هذا التشابه لا يحصل الى حـد التطابق(١٣) •

ويؤكد مارتن في دراسته للحشد ان الدوافع الحقيقية اللااجتماعيـــة تبقى كامنة غير معروفة • وقد تكون هذه الدوافع مقنعة احيانا بقناع الحق والصـواب ومستترة بستار الغاية النبيلة التي تبرر اللجوء الى استخدام مختلف الوســائل من اجل تحقيقها ويفقد اعضاء الحشد قابلية التميز بين الحقيقة والوهم خاصـة عندما يكونون في ذروة هياجهم وحماسهم الجنوني • وسلوك الحشد هو عبارة عن محاولة جمعية لتجنب الواقع والهرب منه • ومن هنا تظهر لـكل حشـــد اوصافه ومثله العليا ، وهذه كلها اشبه باخيلة واوهام المصاب بجنون العظمة ففي الاحتفالات الدينية مثلا يصبح المقامر والسكير والمحتال والمجرم والفاشل زاهـدا في نظر نفسه وكانه مهبط الاعتزاز الالهي ، ويصبح قادة الحشود ابطالا مخلصين يتميزون بقوى خفية غامضة يشاركهم فيها اعضاء الحشد بطريقة لاشعورية •

ولا يتميز الحشد بجنون العظمة فحسب وانما بجنون الاضطهاد ايضـــا وهذا ما يجعله مجبولا على الحقد الدفين والبغضاء • ومن هنا يجد افراده فـــي التعسف والاضطهاد والايذاء موضوعا ينطلقون بواسطته مما يعتلج في نفوسـهم من حقد وبغض ان تفسير مارتن لهذا الاندفاع الخطير هو ان مشاعر العـــداء ومشاعر السيادة التي كانت قد كبتت وحيل دون اشبعها او التعبير عنها فتـــرة طويلة عند الافراد تجد لها فرصة مواتية عند قيام الحشـــد وتراخى الضوابط الاجتماعية الاعتيادية لدى جميع اعضائه • فالحشد يهيء باعتقاده مجالا نفسيـــا

الابيض ومركزه الاجتماعي • ويتفق مارتن مع لوبون في كون الجمهور متطرفا فالكبت يحيط الرغبات الحقيقية باطار من التهديد والخوف الذى ينطوى عليه العنصرى في جنوب الولايات المتحدة الامريكية بحجة تهديد الزنجي لسلطان وصارما في تفكيره فالنظم المثالية الجامدة تحل محل الذكاء وتظهر الاحكام المطلقة فليس هناك بالنسبة للحشد مشاكل تتطلب التفكير ، بل هناك خضوع لمعتقدات اشبه ما تكون بالمعتقدات الدينية • وعلى الرغم من هذا التشابه بين مارتن ولوبون في تمييزهما لسلوك الحشد فأن الاول لا يعتقد بوجود ما اسماه لوبون بالعقل من شأنه ان يطلق رغبات الفرد البدائية والانانية ويجعلها تتحكم في سلوكه ، وتصطنع المبررات المختلفة لهذا الجنون الجمعى ، كما يفعل دعاة التمييز الجمعي او الروح الجمعية l'âme collectiv وانما يؤكد على ان نوازع الفرد الخفية تظهر عند انضمامه للحشد والتحرر من الضوابط الاجتماعية • اى انه يؤكد على استمرار ذاتية الفرد الخاصة رغم ظهور تلك النوازع الخفيه • وقد تأثر مارتن بفرويد ومدرسة التحليل النفسي في معالجته الحشود خاصة فيما يتعلق بالتأكيد المبالغ فيه على اللاشعور الفردى وما ينطوى عليه من رغبات انانية • الضبط الاجتماعي ووسائله من عادات وتقاليد ودين وقانون واخلاق ، وهذا الخوف يقوى الحافز لدى الفرد عند دخوله الحشد من ناحية ، ويعرضه الى التوتر والقلق من ناحية اخرى ، وهذا يؤدى الى النزوع للافكار المثالية المجردة فتنقطع صلته بواقعه ويصبح انسانا جديدا مندفعا برغباته اللاشعورية وعرضة لسلوك الحشدى الذى يهدد النظم المعقولة في الحياة الاجتماعية •

ويؤخذ على تحليل مارتن تركيزه على الدوافع اللاشعورية لرجل الحشد واغفاله وصف الحشد والظروف التي تهيىء ظهور السلوك الحشدى ، من ناحية ، وعدم توضيحه لكيفية ادراك الناس بطريقة لاشعورية رغبة الافراد الاخرين المماثلة لرغباتهم في الوقت الذى يدركون فيه الرغبات والدوافع الخصة بهم ، وذلك عند تفسيره لتكوين الحشد وخضوع اعضائه لمعايير جديدة عن طريق الاهتمام بالمبادىء المجردة من ناحية ثانية •

الاتجاه الثاني :ـ المؤكدون على دور الفرد •

تميل جماعة اخرى من علماء النفس الاجتماعي الى التأكيد على دور الفرد داخل الحشد ، والى اعتبار هذا الدور المهيمن على سلوك الحشد باكمله • ويعتبر اولبورت من ابرز هؤلاء العلماء •

الحشد في نظر اولبورت هو مجموعة افراد يحاولون الوصول الى تحقيق هدف مشترك ، حالت الظروف الاعتيادية دون تحقيق رغباتهم واحتياجاتهم فاحبطت دوافعهم الاساسية مما ادى بهم الى السلوك الاعتدائي بصورة شعورية او لا شعورية[١٤] • وهذا السلوك الاعتدائي لا يصدر عن عقل جمعي يسيطر على الافراد كما يرى لوبون ، وانما هو ناتج عن اندفاع الافراد وحماسهم لاشباع رغباتهم الاساسية بصورة جمعية • اى ان دور الحشد يقتصر على تمهيد السبل لارضاء دوافع الافراد • ويفترض اولبورت ان كبح الفرد او ردعه هو المنبه الدائم للكفاح • والتفسير الحديث لهذا المبدأ يعرف بفرض الاحباط والعدوان[١٥] فالاحباط والتهديد بالحرمان يؤدى عادة الى حدوث العدوان على من يقوم مقام كبش الفداء ان لم يحدث ما يكف العدوان وتميل نظرية اولبورت ايضا الى تأكيد الطبيعة الواقعية لاستجابة افراد الحشد للكفاح الجمعى • فالحشد الذى يعتدى على شخص مصاب بالهوس الجنسى ، قد يتحدى القانون بعمله هذا ، الا ان رد فعل الاعضاء موجه ضد خطر واقعى يهدد عوائلهم • فالقوى الدافعة لسلوك الحشد بالنسبة لاولبورت قد تكون دوافع شعورية او رغبات لا شعورية • وسلوك الحشد في اساسه صورة مضخمة او مضاعفة لسلوك الفرد[١٦] فالفرد في الحشد لا يسيطر عليه «عقل جمعى» كما يرى لوبون ، ينقله بطريقة غامضة من انسان مهذب الى وحش مفترس ، وانما يسلك كما لو كان منفردا ، ولكن بصورة مضخمة عند وجوده في الحشد •

فالجماعات الحاشدة التي هجمت على الباستيل اثناء الثورة الفرنسية ضمت اشخاصا وقع عليهم الظلم او لهم فيه اقارب واصدقاء مسجونين • فهم حينئذ كانوا يعلنون ما كانوا يرغبون دائما في الاقدام عليه[١٧] • ويؤكد اولبورت على دور القائد ومهمته في عملية التيسير الاجتماعي في الحشد[١٨] • فقائد الحشد المحنك يعرف اهمية السلوك المعبر ، فيعمد الى اثارة الانفعالات والحماس ويحصل على استجابات علنية عامة كالتصفيق والهتاف والغناء • ويعتبر القائد عاملا مهما فى

تراخي القيم الاجتماعية ووحدة افراد الحشد ، لا من الناحية النفسية فقط وانما من الناحية الجسمية ، فهو يجمعهم بحيث يلتصق بعضهم بالبعض الاخر . فوجود الفرد مع كثيرين غيره ممن يقومون بنفس العمل يزيد من حماسه ومن شدة استجاباته . وعملية التيسير الاجتماعي هذه تؤدى الى تكوين حلقة دائرية ، اذ كلما كان الفرد اكثر عنفا واندفاعا في تصفيقه او هتافه كلما اثار الاخرين من حوله وكلما اثر هؤلاء بدورهم في اثارته واهاجته . وهذا يظهر مثلا بصورة واضحة لدى المشاهدين لسباق ما مثلا(١٩) .

ويؤكد اولبورت على ان الحضور الجسماني للافراد الذين يستجيبون لفكرة واحدة يخلق شعورا لدى اعضاء الحشد بانتشار تلك الفكرة لدى الجميع . فالتعبير عن الاستحسان لفكرة ما يقنع عضو الحشد على ان الفكرة تمثل رأى مجموع اعضاء الحشد(٢٠) . ويضيف اولبورت قائلا ان الاثارة التي يتلقاها الفرد بحضور بقية اعضاء الحشد تدفعه الى زيادة نشاطه العلنى والى أعاقة الاستجابات الفكرية الضمنية وتعطيل التفكير الناقد مما يساعد على الايحاء الى اقصى حد . ذلك ان الفرد ، هو مدفوع بدوافع اساسية سبق وان قهرت ، سيقبل اية طريقة يوحى بها اليه للعمل بموجبها ان كان هنالك امل يرجى تحقيقه من ورائها(٢١) . وفي هذه النقطة يقترب اولبورت من لوبون . وينتقل اولبورت لبيان اثر ما اسماه (بالاسقاط الاجتماعي) في موقف الحشد . فعضو الحشد في نظره لا يستجيب فقط لقائده وللسلوك المعبر لمن حوله من اعضاء الحشد بل يفترض ان للاخرين نفس مشاعره وافكاره ، ويفسر قابلياتهم العامة للاستجابة استنادا لما يريد ان يفعله هو بنفسه . وهذا يساعد على ضعف سيطرة المعايير الاجتماعية مما يشجع الرغبات الدفينة على الانطلاق والظهور بحرية ومن دون استهجان او ردع .

واخيرا فأن الحشد يهيء فرصة واسعة لحل الصراعات النفسية لدى اعضائه وذلك كنتيجة لضعف وتراخي الضوابط الاجتماعية للسلوك ذات الاثر الضابط للرغبات البدائية الانانية للفرد في الاحوال الاعتيادية كما اشار مارتن لذلك . فاستحسان بقية اعضاء الحشد ومشاركتهم يؤدى الى انطلاق هذه الرغبات وتيسيرها حيث يوفر حلا مؤقتا للقوى المتصارعة داخل الفرد واختفاء اساليب الضبط الاجتماعي المعتادة ، مما يؤدى الى القيام بأفعال يرغب الفرد بالقيام بها من قبل لولا

الاثر الرادع للرأى العام والمجتمع • وقـد استغل النازيون هذا الرأى بمهارة، فجعلوا من الذين ايدوا وحشية وقسوة ابطالا •

الا انه وان كن اولبورت يتفق مع لوبون حول تأثر الفرد بالاخرين من اعضاء الحشد الا انه يختلف معه حول ظهور ما اسماه بالروح الجمعية • لو قارنا بين سلوك حشدين مكونين من افراد مختلفين لوجدنا اختلافا كبيرا بينهما بسبب اختلاف طبيعة اعضائهما • فالافراد لا يفقدون خصائصهم في الحشد حتى وان اشتدت عواطفهم وخضعوا لتقليد بعضهم للبعض الاخر • ويؤكد هـذا الرأى الدراسـة التي قـام بها كـل مـن كانترل وكوديـه وهـيرتزوك Cantril, Gauder ef Hertzog للبرنامج الاذاعي الذى قدم فيه الرواني ويلز lynches رواية حرب العوالم التي تدور حول انزال من المريخ عـلى مقاطعة نيوجرسي في ٣٠/تشرين الاول ١٩٣٨ والذى فهمه المستمعون عـلى انه خبر • ومع ذلك لم يخضع للسلوك الحشدى الناجم عن هذا «الخبر» الا مليون شخص امريكي فقط من مجموع الستة ملايين شخص الذين استمعوا اليه • وهذا دليل على ان الخضوع للسلوك الحشدى يتوقف على شخصية الفرد ، كشعوره بالقلق والاضطراب[٢٢] •

الاتجاه الثاني : المؤكدون على دور العوامل الخارجة على الفرد والحشد •

يركز انصار هذا الرأى اهتمامهم ، عند دراستهم لسلوك الفرد في الحشد ، على عوامل خارجة عن ارادة الفرد وعن دور الحشد في التأثير عـلى الفرد • ويرجعون الاسباب المؤثرة في سلوك الافراد والحشد الى عوامل اقتصادية واجتماعية تحركها اسباب آنية • وقد برز هذا الاتجاه في الولايات المتحدة الامريكية في أواخر النصف الاول من هذا القرن وتعتبر الدراسة التي قام بها بصورة مشتركة كل من ميلر ودولارد عام ١٩٤١ ابرز ما كتب في هذا المضمار •

يرى هـذان العالمان ان هناك ثلاثة عوامل تؤدى الى تكوين الحشـود اللنشية[٢٣] هي : العوامل الاقتصادية ، العوامل الاجتماعيـة ، والاسـباب العرضية •

من خلال الدراسات التى قام بها هذان الباحثان في عام ١٩٤١ للاعمال اللنشية lynches كظاهرة حشدية (عنف جمعي) توصلا الى انها تحدث في اوقات الازمات الاقتصادية[٢٤] . فالسنوات التي انخفض فيها سعر القطن في السوق الاقتصادية بشكل كبير جدا واصبح الزنوج المنافسين المخاصمين للبيض في سوق العمل الامريكية ، اصبح هؤلاء ، اى الزنوج ، كبش فداء يمكن تحميله سبب هذا الانخفاض في سعر القطن . اما العامل الاجتماعي فيظهر في الولايات المتحدة الامريكية خاصة ، حسب رأى هذين العالمين ، بشكل واضح ، فعند وجود الرجل الابيض مع الرجل الاسود في مكان واحد يبرز الشعور لدى الابيض بانه على منزلة اجتماعية من الرجل الاسود وهذا ما يؤدى الى انطلاق عوامل الاستنكار والضعف لديه عند اول حادث اصطدام عرضى . وهكذا يؤدى هذا العامل الاقتصادى الاجتماعي المشترك الى تقوية الباعث النفسى . فيصبح اى حدث مهما كانت درجة اهميته ومهما كانت علاقته المنطقية بالموضوع سببا للهيجان والعنف . ويسيطر نوع معتل من الادراك والقصور يؤدى الى اثارة التجمع بمجرد ظهور قائد عرضى له . ان اجتماع هذه العناصر (العامل الاقتصادى والاجتماعي والحدث العرض وظهور الزعيم) يؤدى الى :

أ) انطلاق العنف وبروز التضامن الجمعى

ب) تنسيق وتنظيم هذا العنف بصورة تتلائم مع القوالب الحضارية للمجتمع

جـ) توزيع الادوار على الافراد كل حسب شخصيته وسماته فالافراد ذوى المستوى الاقتصادى والاجتماعي الواطىء يلعبون الدور الايجابي النشط وبأندفاع عنيف ، اما الافراد من ذوى المستوى الاقتصادى ـ الاجتماعي المتوسط بالرغم من اتفاقهم مع السلوك الحشدى ، فانهم لا يساهمون فيه في حين لا ينفق افراد الطبقات العليا مع السلوك الحشدى الا انهم لا يقفون بوجهه .

د) بروز عنصر المبالغة في حالات الرعب او العنف الجمعى نسبة للعامل المسبب لذلك الرعب او العنف مع ظهور مركب ساد وـ ماسوشى ، اي حب الايذاء للغير وللنفس . فهنالك لذة مضمرة يجدها افراد الحشد في التخريب او في ايذاء النفس .

هـ ـ يظهر الرعب الجمعى عندما يكون هناك فترة زمنية قصيرة بين السبب والحدث او

الكارثة المؤدية لذلك الرعب، بحيث لا يصبح هناك مجالا للتفكير بصورة موضوعية اما اذا كان الحدث مفاجيء او كان ذو خاصية حتمية فلا يظهر رعب جمعي، وهذا مما يدفعنا الى التفكير في معسكرات الاعتقال الالمانيـــة التى كانت الجماهير في البداية تسير بهدوء عندم دفعت نحو « افران الاحتراق »، وكذلك لا يظهر ايضا ان كانت الفترة الزمنية طويلة نسبيا بين السبب والكارثة ، بحيث تسمح بأيجاد السبل الصحيحة للتخلص من الخطر والتفكير بصورة موضوعية في اتخاذ ما يلزم من اجراءات كتوزيع الادوار على الافراد ولو بصورة اولية وذلك كحالات الانذار في الطائرات او في البواخر التى تتعرض لخطر محدق .

و) اختلاف ردود الفعل لدى الافراد من مرحلة الى اخرى ومن فرد لاخر بحسب طبيعتهم وهذا ما يتفق مع ما جاء به اولبورت في تأكيده على كون السلوك الحشدى يختلف بأختلاف الافراد المكونين لتلك الحشود . فالتضحية ، مثلا تختلف من فرد لأخر حتى وان كان ذلك الفرد امام تعرضت هي واطفالهـــا لخطر ما ، فهناك من تضحي بنفسها في سبيل انقاذ اطفالها وهناك ايضا الام التي تضحي بأطفالها من اجل انقاذ نفسها .

وهكذا فأن السلوك الحشدى يخضع لنوع من التنظيم الذى يتحدد بحسب طبيعة العوامل وطبيعة الافراد ، ولا يخضع للستيريوتيب او التجمعات الفـكرية الاجتماعية وهذا ما يتناقض مع ما جاء من افكار في اواخر القرن التاسع عشـــر لدى لوبون وغيره من التقليديين .

لقد حاول ميلرود ولارد في مؤلفهما «التعلم الاجتماعي والتقليد» الذى صدر عام ١٩٤١ اعطاء تفسير علمي لظاهرة التقليد . حيث يعتقد ان بوجود ثلاثة انواع من التقليد ترتبط بالتعلم الاجتماعي وهي (٢٥) .

١ ـ السلوك المتشابه : فالافراد الذين ينتظرون في محطة سيارات الاجرة العامة او (الباصات) يرفعون ايديهم تلقائيا لايقافه والصعود فيـه . اى ان هؤلاء الافراد تعلموا الاستجابة الشرطية (رفع اليد) للمؤشر الشرطى (الباص) في هذه الحالة

٢ ـ السلوك المقتبس comportement copié وهو السلوك المقلد والذى تكون المطابقة الاجتماعية باعثا له ، حيث يقلد الافراد بعضهم البعض الاخر في السلوك وتكون نتيجة هذا التقليد ايجابية اذا نالت الاستحسان وسلبية اذا قوبلت بالاستهجان والسخرية .

٣ ـ السلوك المزدوج : تقليد الافراد سلوك الغير اذا حصل على تأييد وتعزيز من قبل الاخرين فمثلا وجود طفلين اخوين في بيت واحد يقلد صغيرهم سلوك الكبير اذا حصل على تأييد الاخرين كالابوين مثلا . فلو افترضنا في هذا المثال ان احد الاخوين في الخامسة من عمره والاخر في الثانية فعندما يسمع الاول وقع اقدام ابيه يتوجه ليقبله ويستلم قطعة من الحلوى . هذا يؤدى بالطفل الاخر الى تقليد اخيه الاكبر .

وهكذا فان التقليد لا يعتبر غريزة وانما هو يكتسب عن طريق التعلم الاجتماعي ويعتقد Jean Piaget ان التقليد ليس غريزة وانما هو مرحلة من مراحل التطور . ويرى ميلر ودولارد ان هناك ثلاثة عناصر للتعلم هي : الباعث ، المحرض ، الاستجابة .

وهذا النمط الثالث للتقليد هو الاكثر انتشارا ، لان من السهل جدا ان تحدد سلوك الاخرين وتقلده ويصلح هذا النوع من التقليد لان يكون اساسا لتفسير سلوك الافراد في الحشود .

لقد قام ميلرد ولارد بأجراء دراسة على متغيرات مستقلة (الموقف) واخرى تابعة (الاستجابة) فكانت النتيجة كما يلى :

أ) الباعث : ان كان الباعث ضعيفا كانت الاستجابة ضعيفة هي الاخرى . والعكس صحيح

ب) الباعث المتداخل : اذا شاهد شخص ما شخصين يجريان بسرعة فانه يحاول السير بخطى اسرع . وذلك لانه تعلم هذا السلوك (التنافس) منذ الصغر . ويعتمد ميلرود ولارد في تفسيرهما للعنف الجمعى على هذا الباعث .

جـ) العدد : يتفق ميلر ود ولارد مع فرويد في ان كثرة العدد تساعد على طهور

او تواجد افراد لديهم بواعث سادية ، ويعطون استجابة حادة تقوي عامل التحريض لدى الاخرين في الحشد

د) المشاركة : تساعد المشاركة مع الاخرين في عمل مشترك على اخفاء الشعور بالمسؤولية الفردية وتؤدى الى ظهور السلوك الحشدى •

هـ) التكرار : يساعد تكرار المحرض بشكل منتظم كالهتاف في الاجتماعات السياسية مثلا على ابراز السلوك الحشدى • ويتفق هنا هذان الباحثان مع لوبون في ان التكرار يؤدى الى بروز الدوافع خاصة اذا كرر الزعيم الفاظ تساعد على ابراز القضايا في نفوس اعضاء الحشد وتساعد على ازالة الشعور بالمسؤولية الفردية[٢٦] •

أما المتغيرات التابعة فتتلخص بما يلى :-

آ) لايمكن لاى فرد الاشتراك في السلوك الحشدى ان لم تكن لديه استجابة مسبقة ذلك لان البواعث تتداخل مع بعضها

ب) العواطف : تكون لاستجابة اقوى فيما اذا كان الباعث اساسيا • فالافراد ذوى المراكز الاجتماعية الضعيفة مثلا لديهم دافع للعدوان سبب حرمانهم مما يجعلهم اكثر اندماجا واستجابة في الحشد اما الاخرين فيتبعون اشارات الفريق الاول كما في الحالة الثالثة للتعلم السالف ذكرها •

جـ) التعميمات الفكرية والاجتماعية او ما اصطلح عليه علم النفس الاجتماعي باسم «الستيريوتايب» حيث ان ما يحمله البيض من الامريكين من صور في اذهانهم عن انفسهم وعن الزنوج تعمل على التفريق بين هاتين الجماعتين وتساعد على ظهور العنف الحشدى او الاعمال الثأرية[٢٧] Lynchages .

لقد ابتعد لوبون ، في بحوثه عموما عن الاسلوب العلمي ، الى حد عدم التفريق بين سلوك المعتوهين وسلوك العلماء في الحشد ممن ينتمون الى عنصر مشترك • ويؤكد على عدم وجود اى تأثير للعوامل الاجتماعية والنفسية على سلوك الافراد عند تواجدهم في الحشد • الا ان الواقع يدل على عكس ذلك كما اثبتته الدراسات العلمية الميدانية • فسلوك الافراد في الحشد يتحدد باعتبارات اجتماعية

ونفسية • ومن امثلة دالة على ذلك يمكن ان نورد دراســـات العنف الجمعي لكانترل اوميلر ودولارد للحوادث التالية :ـ

طفلة في لسابعة من عمرها ابنة لمزارع تبغ ، جاءت في احد الايام لابيها وهي تبكى مدعية ان الخادم الزنجي اعتدى عليها في زريبة الماشية • ففسر والدها هذا الاعتداء بأنه اعتداء جنسى • وعلى اثر ذلك اختفى الزنجي ، وبعد العثور عليه اودع رهن الاعتقال • وفي اليوم التالى توجه حشد منظم من أهـــل القرية الى السجن واصطحبوا الزنجي المعتقل ووجد بعد ذلك معلقا في نفس الزريبة وقـد مزق الرصاص جسده •

وفي حالة اخرى ذهب مستخدم اسود في مدينـــة ليفيل Leeville الى مستخدمته اثناء غياب زوجها يطالبها بمبلغ ٦ دولارات • فادعت الزوجـــة انه حاول الاعتداء عليها ، فقـــدم للمحاكمة • وفي صباح يوم المحكمة تجمع جمهور من البيض مطالبين بتسليم المتهم لغرض معاقبته • الا ان المحكمـــة لم تستجيب لطلبهم ، وحفاظا عليه وضعته في قاعة المرافعات ، الامر الذى ادى بذلك الجمهور الى اضرام النار في البناية والى نسف القاعة بالديناميت والاستيلاء عـلى الجثة • ولم يقف العنف عند هذا الحد بل تعداه الى حد دخـــول حي الزنوج واقتحام بيوتهم جاعلين من اثاثهم حطبا لحرق الجثة • ثم نهبوا المخازن والمكاتب والمنازل وطرد السود من المدينة • ولم ينته الامر الا بتدخل القوات المسلحـــة بعد ان استمرت أعمال العنف مدة واعلنت الاحكام العرفية(٢٨) •

هذه الامثلة تبين ان سلوك الحشد لم يكن نتيجة الغريزة وانما جاء بسبب تراكم الشعور بالتمايز العنصـرى بين الرجل الابيض والرجل الملون • عبـــر سنوات طويلة ليصبح الاول يشعربسموه بالنسبة للثاني الامر الذى ولد لديهشعور بالكراهية والاحتقار للرجل الملون • وهذا الشعور يجد له اول فرصة ليتخـذ طابع العنف والتخريب ، وقد يكون ذلك على صورة عنف جمعي ، وهو الغالب ، كما في أمثلتنا السابقة •

وقد ينشأ السلوك الجمعي نتيجة تراكم عوامل نفسية ناتجة عن الظلـــم المستمر من شخص معين لجماعة ما فتعبر هذه الجماعة عن سخطها في اول فرصة

تجدها • ان تصرف الجماعة هنا لم يكن لاسباب غريزية او مجرد خضوع لاواع لفعل جمعي وانما هوناتج عن هذا الشعور بالاضطهاد • فقيام الجماهير في اعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق بقتل نورى السعيد والتمثيل بجثته في الشوارع لا يعود لاسباب غريزية وانما لاسباب سياسية قديمة تعود الى ما مارسه من الظلم والجور خلال مدة حكمه • كما ان مظاهرات الابتهاج التي عمت المدن العراقية في اعقاب تلك الثورة كانت تعبيرا عن سلوك جمعي تعود اسبابه الى الشعور بالتخلص من الظلم • وما الثورات العظمى في التاريخ كالثورة الفرنسية وثورة اكتوبر الروسية والثورة الصينية ما هي الا نماذج للسلوك الجمعي الذى يعود لاسباب سياسية واقتصادية واضحة المعالم • فالعنف الجمعى له معنى ووظيفة اجتماعية وليس نتيجة للغريزة العمياء بتاتا كما يدعى لوبون •

وينطبق هذا على رأى اولبورت الذى يقول فيه ، ان الفرد في الحشد يقدم على عمل كان يرغب دائما الاقدام عليه • فقيام الفرد في امثلتنا السابقة بالتعبير عن مشاعره عن طريق العنف او الابتهاج انما يعود الى توفر الفرصة المواتية لذلك ، وليس انطلاقا لغرائز مكبوتة • ويدعي لوبون ان العدوى بين الافراد في الحشد هي ظاهرة لابد منها • اذ ينتقل السلوك ، حسب رأيه ، داخل الحشد من فرد الى آخر • ان هذا الرأى لا ينطبق على الواقع العلمي • فالفرد يتصرف داخل الحشد مندفعا بمعايير اجتماعية واقتصادية من جهة ونفسية من جهة اخرى • فسلوك الافراد يختلف بحسب انتماءاتهم الطبقية • فالفقراء اكثر اندفاعا وعنفا داخل الحشد بسبب وضعهم الاقتصادى والاجتماعي السيء • اما متوسطى كسبة ، ٣ مستخدمون ، ٣ متنوعون وكان زعيمهم امى في الاربعين من العمر ، الحالة الاقتصادية فيتخذون موقف المؤيد المتفرج • في حين يمتنع الاغنياء عن تأييد تصرفات الحشد ، خاصة العنيفة منها •

ففي مثلنا السابق عن مدينة ليفيل كانت المجموعة التي قامت باعمال العنف مكونة من ٥٨ فردا موزعين على الشكل التالى :ـ

١٩ عاطل عن العمل ، ١٣ عامل يدوى ، ٨ فلاحون ، ٨ عمال فنيين ، ٤ نجارون ، ٣ مستخدمون ، ٣ متنوعون وكان قائدهم امى في الاربعين من العمر ، كحولى مدمن ويعتاش من عمل زوجته التي كانت تعمل في غسل الملابس[٢٩] •

وتلعب جملة عوامل نفسية خاصة بالفرد ، كما يؤثر المستوى العقلي والثقافي ومقدار الثقة في النفس والشعور بالاطمئنان دورا مهما في تحديد دور الفرد داخل الحشد • فتأثر ضعاف النفوس وقليلوا الثقافة بسلوك الحشد اكثر من ذوى المستوى الثقافي الرفيع والوضع النفسي الجيد •

كما يختلف موقف الافراد في الحشد من حدث الى اخر • فقد يتصرف الفرد بصورة معينة تجاه موقف معين ويتصرف نفس الفرد تصرفا مختلفا اتجاه قضية اخرى • كما قد تؤثر الظروف المحيطة بالفرد على سلوكه الحشدى • وما حالة الرعب التي مرت بها مدينة بغداد (او اثناء ما يسمى باحداث ابو طبر الا مثلا ساطعا لتأييد ما نقول) فقد اختلف تأثر سكان مدينةبغداد من حي الىآخر • فأشتد الرعب في الاحياء الغنية والقريبة من مواقع الحوادث كالمنصور مثلا اكثر من الاحياء الفقيرة والبعيدة عن تلك المواقع كمدينة الثورة • كما ان تأثير هذه الحوادث يختلف من فرد الى آخر حتى في الحي الواحد • فبلغ البعض في اجراءات الحيطة والحذر بشكل مفرط الى حد تجمع مجموعة من العوائل في دار واحدة،في حين لم يأبه البعض الاخر ولم يغيروا من سلوكهم السابق الا بالقدر المعقول • وسبب سيطرة الرعب الجمعى على مدينة بغداد غرابة تلك الاحداث والغموض الذى احاط بها ، مما سبب انتشار الاشاعات بسرعة عجيبة ، اضافة لكونها كانت تهدد حياة الافراد واعراضهم وممتلكاتهم بصورة مباشرة اما اشتداد حالة الرعب هذه باحياء معينة دون غيرها فيعود الى قربها من مواقع الحوادث من ناحية واحتمال ارتكابها لاسباب اقتصادية من ناحية اخرى • هذا اضافة لتوفر ظروف وعوامل تدعو الى القلق وعدم الاستقرار دفعت الى زيادة شدة حالة الرعب هذه ومع ذلك ظهرت اختلافات بين الافراد والفئات في هذا السلوك •

وتعطينا الحوادث التي حصلت عام ١٩٥٩ في مدينتى الموصل وكركوك مثلا اخرا على تباين مواقف الافراد في الحشد الواحد بحسب وضعهم الاقتصادى والاجتماعي • كما ان حوادث الطلبة التي حصلت في الستينات في عدد من مدن العالم كباريس ولندن وكالفورنيا وطوكيو وبيروت تبين بوضوح مقدار التباين

في مواقفهم وذلك لاسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية • اذن فالادعاء بخضوع الافراد لتأثير الايحاء والعدوى داخل الحشد ما هو الا تصور لا يستند الى اساس من الواقع •

ومع ذلك فان هذا لا يعني ان نظرية لوبون لم تأتى بشيء مفيد وايجابي بل على العكس كان لوبون اول من اوجد هذا الباب في علم النفس الاجتماعي وطور نظرية متكاملة فيه وان كانت تنقصه الموضوعية والدلائل العلمية • وقد ادت جهود لوبون في هذا المجال الى استمرار الدراسات في موضوع الحشود والسلوك الجمعي والى تطور هذا الميدان من ميادين المعرفة الانسانية وتطبيق الأساليب العلمية في البحث والمراقبة • ومما لاشك فيه ان نظرية لوبون يمكن ان تعطي تفسيرا مقبولا لبعض ظواهر السلوك الجمعي • فانتشار بعض العادات الاجتماعية السيئة يعود الى نوع من الايحاء والتقليد فالايحاء بارتكاب خطأ حقيقي او تصورى يدفع الى الشعور بالندم والقيام ببعض الاعمال الماسوشية (ايذاءالنفس) كعادة الضرب بالسلاسل الحديدية والتطبير مثلا وانتشار مودة معينة نتيجة لتقليد شخصية او فئة معينة تتمتع بمركز اجتماعي مرموق حيث ينعدم الشعور بالمسؤولية الشخصية مهما كانت غرابة العمل والسلوك •

المصـــــادر

(١) الحشد هو التجمع غير المتناسق للافراد الذى يتصف بكونه آنيا وجامدا وغير محدد الهدف ٠

(٢) Otto Klineberg: Psychologie sociale, t.2, P.U.F., Paris, 1963, P. 495.

(٣) الجماعات بالمعنى المتعارف كما عرفه لوبون في كتابه المذكور (ص٢) لفيف مطلق من القوم بغض النظر عن جنسيتهم ومهنتهم وجنسهم والنحو الذى اجتمعوا فيه اما في علم النفس الاجتماعي فلها معنى آخـــر ٠ ففى بعض الظروف تتولد في جمع من الناس صفات تختلف كثيرا عن صفات الافراد المكونين له ، حيث تختفى الذات الشاعرة وتتوجه مشاعر جميـــع الافراد نحو اتجاه واحد ، فتولد من ذلك روح جمعية وقتية بالضرورة الا انها ذات صفات واضحة تمام الوضوح ٠ وحينئذ يصبح ذلك الجمع لفيفا يطلق عليـــه تعبير الحشد المنظم او الحشد النفسى انه يكون ذات واحدة تخضع للوحـــدة العقلية للجموع ٠

(٤) Jean Stoetzel: La Psyshologie Sociale, Flammarion, Paris, 1963, P. 227.

(٥) Gustave Le Bon: Psychologle des foules, P.U.F., Paris, 1971, P.9.

(٦) نفس المصدر : ص١٣ وما بعدها

(٧) نفس المصدر : ص٧٦ وما بعدها

(٨) نفس المصدر : ص٩ـ١٠

(٩) Otto Klineberg: op. cit., P.506.

(١٠) مجموعة من العلماء الامريكيين باشراف ج٠ب جيلفورد : ميـــادين علم النفس ، النظرية والتطبيق ترجمة جماعة علم النفس التكاملى باشـــراف الدكتور يوسف مراد ٠ المجلد الاول دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ص٢٩٠

(١١) منشورات علم النفس التكاملى المصدر السابق ص٢٩٠

(١٢) نفس المصدر السابق : ص٢٩١

(١٣) Otto Klineberg: op. cit., P.506.

(١٤) ويعرفه اولبورت في مقالة له بما يلى :ـ

"Acrowd is a collectior of individuals " who are all attending and reacting to somecommon object, their reactions being of a simple preoptent sort and accompaniedbystrong emotional responses."

F. Allport; Social stimulation in the group and the crowd. in Classic contrubution to social Psychology, Holander, oxford university Press New York. 1972. P. 315.

(١٥) الدكتور حاتم الكعبي : السلوك الجمعي الديوانية ١٩٧٢ ص٣٠٤

(١٦) احمد عزت راجح اصول علم النفس ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر

(١٧) F. A. Allport: OP. cit, P. 317.

(١٨) انفس المصدر ص ٣١٥

(١٩) Otto Klineberg: op. cit., P.506.

(٢٠) حاتم الكعبى : المصدر السابق ص٣٠٦

(٢١) د٠حاتم الكعبي المصدر السابق ص٣٠٨

(٢٢) Y. Castellan: Initiation à la Psychologie sociale, A. Colin, Paris, 1972. P. 244

(٢٣) اللنش : نسبة الى شارلس لنش ١٧٣٦ـ١٧٩٦ أحد قادة الثورة في فرجينيا الذى وضع نظاما سريعا لمحاكمة اعدائه واشرك الشعب في تنفيذ العفوية ويطلق هذا التعبير على الحالات التي يثأر فيها الشعب لنفسه دون اللجوء الى السلطات القضائية لمحاكمة المذنب ٠

(٢٤) Y. Castellan: Op. cit; PP. 239 - 252.

(٢٥) نفس المصدر السابق ص ٢٤٨ـ٢٤٩ ٠

(٢٦) مصطفى سويف ، المصدر السابق ص١٦٠

(٢٧) د٠محمد جواد رضا ، ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس العدد الثالث اكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر الكويت ١٩٧٤ / ص١٦١ـ١٦٢ ٠

(٢٨) Jean Stoetzel: Op. cit, PP. 230-231

(٢٩) نفس المصدر السابق ص٢٣٢

دراسة في السلوك الحشدى

هذه الدراسة عبارة عن عرض وتحليل للآراء الرئيسية في تفسير ظاهرة الحشود وتاثيرها على سلوك الافراد المكونين لها ٠ وقد قسمنا هذه الاراء الى ثلاثة اقسام ٠ القسم الاول منها يؤكد على دور الحشد ، والثاني يؤكد على دور الفرد أما الثالث فيعزي اسباب ذلك الى عوامل اقتصادية واجتماعية تصاحبها اسباب

عرضية فتؤدى الى تكوين الحشود ٠ وقد حاولنا خلال عرض هذه الاراء مع بيان نقاط القوة والضعف فيها مستندين في ذلك الى امثلة واحداث هزت بعض المجتمعات ومنها العراق ٠

مصادر البحث : المصادر العربية

١ ـ احمد عزت راجح : اصول علم النفس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨ ٠

٢ ـ حاتم الكعبي : السلوك الجمعي ، مطبعة الديوانية ١٩٧٢ ٠

٣ ـ مجموعة من العلماء الامريكان باشراف جيلفورد : ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ٠ ترجمة مجموعة علم النفس باشراف يوسف مراد المجلد الاول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ٠

٤ ـ محمد جواد رضا : ظاهرة الضعف في المجتمعات المعاصرة ، مجلة عالم الفكر

٥ ـ مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

المصادر الاجنبية :

— Allport F. : Classic contrubution to social Psychologie 1972.

— Castellany.: Initiation à la Psychologie Sociale, colin, Paris 1972.

— Klineberg. : Psychologie Sociale, P. U. F., Paris 1963.

— Le Bon. : Psychologie des foules; P.U.F., Paris 1971.

— Stoetzel I: La Psychologie Sociale, Flammarion Paris 1963.